٧ - قـــرار الحـــرب

واستمرت عجلة الاستعداد للحرب دون أن تتوقف لحظة ، إلى أن جاءت الأيام القليلة الباقية قبيل نشوب الحرب حيث كان العد التنازلى لدخول الحرب قد بدأ فعلاً .

وفى يوم ٣٠ سبتمبر ١٩٧٣ . اجتمع مجلس الأمن القومى بدعوة مفاجئة من الرئيس السادات ، جرى فيه استعراض للموقف من جوانبه السياسية والعسكرية . ولا يحضر اجتماعات المجلس من القوات المسلحة عادة سوى وزير الحربية .

وفى هذا الاجتماع[1] شرح الفريق أول أحمد إسماعيل تصوره للمعركة ، كما أكّد عدداً من الاعتبارات ، كما أجاب عن بعض ما أثير من ملاحظات :

١ - تشن مصر العمليات بالتنسيق مع سوريا ، واثقة من نتيجتها بتحقيق الضغط على إسرائيل لإرغامها على قبول حلول سلمية .

٢ - إن المعركة التى نخوضها فى حدود قدرتنا ، فالإمداد من الاتحاد السوفيتى يتم بحساب ، ولهذا فإمكانياتنا لا تسمح بتحرير سيناء كاملة .

٣ - إن القوات المصرية - السورية ستوجه ضربة قوية ، ولا تقبل تكرار حرب الاستنزاف ، وتعمل على إطالة أمد الحرب ، وتتوقع أن تتكبد خسائر كبيرة ولكنها ستنزل بالقوات الإسرائيلية خسائر أكبر .

٤ - إن الوقت ليس فى صالحنا ... معنويا وماديا . ولهذا لا يجب أن نؤخر توقيت التدخل العسكرى ضد إسرائيل .

---

(١) محمد حافظ إسماعيل - أمن مصر القومى - ص ٣٠٢ ، ٣٠٣ .

٥ – قد تبدأ إسرائيل الحرب وتأخذ في يدها المبادرة إذا قدرت أننا نستعد للهجوم . لهذا أصبح تحقيق المفاجأة عاملاً حيوياً لنجاحنا .

٦ – تفتقر قواتنا إلى « التفوق الجوى » كما تفتقر لإمكانات الاستطلاع التعبوى الإستراتيجى ... ولكن إسرائيل لن تكسب المعركة .

وفى نهاية الاجتماع أجمل الرئيس السادات الموقف فيما يلى :

١ – حتمية المعركة والانتقال من الدفاع إلى التعرض ، طالما استمرت إسرائيل تمارس سياستها على أساس أنها قوة لا تقهر وتفرض شروطها .

٢ – لقد دخلنا « منطقة الخطر » وأن « استمرار الوضع الحالى هو الموت المحقق » . وان الأمريكيين يقدرون سقوط مصر خلال عامين ، ولذلك فبدون المعركة سوف تنكفىء مصر على نفسها .

٣ – نحن نمر بأصعب فترة ... لا قرار أخطر من القرار الذى نحن بصدده ، وعلينا كسر التحدى .

٤ – لن نقطع خيط الحوار مع الولايات المتحدة ... ولكننا نواصله بينما نكون قد كسرنا وقف إطلاق النيران .

وفى هذا الاجتماع لم يفصح الرئيس السادات عن يوم بدء الحرب لمجلس الأمن القومى .

□ □ □

وعن إجتماع مجلس الأمن القومى سجّل الرئيس السادات ما يلى[1] :

" فى يوم ٣٠ سبتمبر ١٩٧٣ جمعت مجلس الأمن القومى وطلبت من الأعضاء إبداء رأيهم فى الوضع الذى كنا فيه وتناقشنا طويلاً . طالب البعض بالمعركة وتردد البعض الآخر ... قال وزير التموين أن التموين الموجود لا يكفى لمعركة طويلة ...

---

(١) الرئيس السادات – البحث عن الذات – طبعة عربية ص ٣٣١ .

وبعد أن تحدث الجميع عن المعركة وظروف البلد والتحرك قلت لهم : كل واحد منكم قال كلمته ... طيب أنا عايز أقول لكم أن اقتصادنا النهاردة فى مرحلة الصفر ، وعلينا التزامات إلى آخر السنة لن نستطيع الوفاء بها للبنوك . وعندما تأتى سنة ١٩٧٤ بعد شهرين لن يكون عندنا رغيف الخبز للمواطنين . ولا أستطيع أن أطلب من أى عربى دولاراً واحداً لأن العرب يقولون لنا « إحنا بندفع الدعم بتاع قناة السويس وخلاص ... ولا فيه حرب ولا فيه حاجة » .

هكذا أعلمت المسئولين عندى بالموقف ثم أنهيت الاجتماع " .

وكانت عجلة الاستعداد لشن الحرب تدور بسرعة وفى سرية مطلقة داخل القوات المسلحة دون أن تتوقف لحظة ، إلى أن جاء اليوم الأول من أكتوبر ١٩٧٣ وهو اليوم التالى لاجتماع مجلس الأمن القومى .

فى هذا اليوم – أول أكتوبر ١٩٧٣ – بدأ تنفيذ المشروع التدريبى الذى تتم تحت ستاره اللمسات الأخيرة للاستعداد للهجوم بواسطة القوات فى جبهة القناة وفى كل فروع القوات المسلحة .

وفتح « مركز عمليات القوات المسلحة » فى المكان المخصص له ، وبدأ العمل فيه .

وأصبح تركيزنا فى القيادة العامة للقوات المسلحة أشد من ذى قبل على كل تصرف تقوم به إسرائيل عسكرياً أو سياسياً حتى نتابع صدى خطة الخداع الموضوعة لمعرفة ما إذا كانت إسرائيل تمكنت من كشف النوايا المصرية أو السورية للقيام بالعملية الهجومية . ولا شك أن إسرائيل كانت تقوم أيضاً بالتركيز على كل نشاط مصرى أو سورى فى الجبهتين . لقد كانت الأيام الستة القادمة حتى ٦ أكتوبر هى أيام حرجة وحساسة للغاية ، لا تحتمل أى خطأ أو سوء تقدير أو عدم الدقة فى تنفيذ أى عمل برغم كثرة الأعمال التى تتم خلال هذه الفترة مع المحافظة على السرية التامة لكل عمل أو إجراء يتم . وكانت إدارة المخابرات الحربية تقوم بدور رئيسى لمتابعة كل نشاط للعدو خلال هذه الفترة .

وفى مساء هذا اليوم – أول أكتوبر ١٩٧٣ الذى يوافق ٥ رمضان ١٣٩٣ – اجتمع

المجلس الأعلى للقوات المسلحة برئاسة الرئيس السادات فى وزارة الحربية ، استمع الرئيس إلى تقارير القادة ، ثم تحدث عن مسئوليته عن الحرب ، وطلب الالتزام بخطة العمليات الموضوعة ، وان يعمل القادة بهدوء وحرية ، وقال : « على كل واحد أن يؤدى واجبه . أنا أتحمل وراءكم المسئولية كاملة تاريخيا ، ماديا ومعنويا . وأقولها بصراحة وفى نفس الوقت : أثق ثقة كاملة فيكم ، وعلى هذا الأساس تصرفوا بكل ثقة وإطمئنان وحرية » .

ورد الفريق أول أحمد إسماعيل قائلاً :

" باسم القادة وباسم القوات المسلحة نعد سيادتكم أن نبذل أقصى جهد يتحمله البشر لتحقيق النصر لبلدنا . كل قائد متفائل وفى قدرته تحقيق مهمته . ونحن نشترك مع سيادتكم فى المسئولية ، وكلنا مسئولون عن البلد معكم " .

وقرأنا جميعاً الفاتحة ، واتجهت قلوبنا للسماء ندعو الله أن يوفقنا وأن يكتب النصر للقوات المسلحة .

لقد تم اجتماع هذا المجلس ليلا فى شهر رمضان المهيب .

كان الموقف أعمق مما يمكن تصويره . فقد كنا مقدمين على عمل بالغ الأهمية يحدد مستقبل مصر وسوريا والوطن العربى لسنوات طويلة قادمة . فإذا ما تحقق النصر عبرنا الهزيمة ، وتغلبنا على الكارثة التى كنا نعيش فيها . أما إذا فشلت الحرب — لا قدر الله — فلن يقبلها أو يتحملها الشعب المصرى .

□ □ □

وفى هذا اليوم أصدر الرئيس السادات قراره بالحرب تحت عنوان « توجيه صادر إلى القائد العام للقوات المسلحة ووزير الحربية الفريق أول أحمد إسماعيل على » موقعا بتاريخ ٥ رمضان ١٣٩٣ — أول أكتوبر ١٩٧٣ ، حدَّد فيه تقديره للموقف السياسى والهدف الاستراتيجى للقوات المسلحة . وكان هذا التوجيه يعبر تعبيراً دقيقاً عن الوضع العام ، واستراتيجية العدو ، واستراتيجية مصر فى تلك المرحلة ، وأن الوقت ملائم كل الملاءمة من وجهة النظر السياسية لتنفيذ استراتيجية مصر .

ويبدو لى أنه من الضرورى أن أضع أمام القارىء نص هذا التوجيه حتى يمكن متابعة

سير الحرب على هدى هذا التوجيه[1] . وكذا التوجيه الاستراتيجى الآمر الذى صدر يوم ٩ رمضان - ٥ أكتوبر ١٩٧٣ .

أولاً : عن الوضع العام .

١ - لقد مضت، حتى الآن أكثر من ست سنوات على احتلال العدو الإسرائيلى لأجزاء من التراب العربى .

٢ - إن إسرائيل مؤيدة بدعم أمريكى خصوصاً فى مجال إمدادات السلاح ... حاولت وتحاول فرض إرادتها علينا وإنهاء أزمة الشرق الأوسط على نحو يحقق لها سيطرة شبه مطلقة فى المنطقة العربية وفى أمنها وفى مصائرها .

٣ - إن مصر حاولت بكل الوسائل ، ومنذ صدور قرار وقف إطلاق النار عن مجلس الأمن فى ٨ يونيو ١٩٦٧ أن تجد حلاً للأزمة ... وفى هذا السبيل فقد تنوعت وسائلها من قبول قرار مجلس الأمن بتاريخ ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ إلى قبول جهود السفير جونار يارنج ، ثم جهود الدول الكبرى ، ثم جهود قامت بها القوتان الأعظم ، ثم مبادرة تقدم بها وزير الخارجية الأمريكية وليم روجرز ، حتى تقدمت مباشرة بمبادرة لحل يكون فيه فتح قناة السويس بداية لمراحل انسحاب شامل تطبيقا لقرار مجلس الأمن . ولكن كل هذه الجهود لم تصل إلى نتيجه ، فهى إما فشلت أو توقفت أو حاول أعداؤنا الخروج بها عن مقاصدها .

٤ - إن مصر قامت بعمليات عسكرية ذوات طابع محدود فى سنوات ١٩٦٨ ، ١٩٦٩ ، ١٩٧٠ ، كذلك قدمت دعماً كبيراً لقوات المقاومة الفلسطينية لمباشرة عمليات فدائية على الخطوط أو داخل الأرض المحتلة ... ولكن هذه العمليات كلها ، وإن أدت إلى نتائج لها أثرها ، فإنها لأسباب متعددة لم تصل فى ضغطها على العدو إلى الحد اللازم .

٥ - إن مصر كانت تدرك طول الوقت أنه سوف يجىء وقت يتعين عليها فيه أن

---

(١) نص التوجيه منشور بالكامل فى كتاب الرئيس السادات - البحث عن الذات - ص ٤٣٦ وما بعدها.

تتحمل مسئولياتها ... وكان أهم ما يجب أن نعنى به هو أن نوفر لهذا اليوم كل ما نستطيع ... وفى حدود قدرتنا ... ومع إلتزامنا بواجب الدفاع عن التراب والشرف .

٦ – إن الشعب فى مصر تحمل بأكثر مما كان يتصور أحد – خصومه وأصدقاؤه على السواء – ولقد كانت الأعباء التى تحملها الشعب ، مادية ومعنوية ، أعباء فادحة لا يتحملها إلا شعب يؤمن بالحرية ويضحى فى سبيلها .

٧ – إن تحسينات مهمة طرأت على الموقف السياسى العربى عموما وزادت من احتمالات تأثيره ... ومع تزايد أزمة الطاقة وأزمة النقد فى العالم فإن الضغط العربى فى أحوال ملائمة يستطيع أن يكون عاملاً له قيمته .

٨ ، ٩ ، ....

١٠ – إن الموقف الدولى يتغير ... وما زالت حركته مستمرة ... وقد نجد أنفسنا أمام توازنات طويلة الأجل تؤثر على حرية حركتنا وعلى حقنا فى اختيار أنسب البدائل .

ثانياً : عن إستراتيجية العدو :

إن العدو الإسرائيلى كما نرى انتهج لنفسه سياسة تقوم على التخويف ، والادعاء بحقوق لا يستطيع العرب تحديها ... وهذا هو أساس نظرية الأمن الإسرائيلى التى تقوم على الردع النفسى والسياسى والعسكرى .

إن نقطة الأساس فى نظرية الأمن الإسرائيلى هى الوصول إلى إقناع مصر والأمة العربية بأنه لا فائدة من تحدى إسرائيل ، وبالتالى فليس هناك مفر من الرضوخ لشروطها حتى وإن تضمنت هذه الشروط تنازلات عن السيادة الوطنية .

ثالثاً : عن إستراتيجية مصر فى هذه المرحلة :

إن الهدف الاستراتيجى الذى أتحمل المسئولية السياسية فى إعطائه للقوات المسلحة

المصرية ... وعلى أساس كل ما سمعت وعرفت من أوضاع الاستعداد يتلخص فيما يلى :

تحدى نظرية الأمن الإسرائيلى وذلك عن طريق عمل عسكرى حسب إمكانيات القوات المسلحة يكون هدفه إلحاق أكبر قدر من الخسائر بالعدو وإقناعه بأن مواصلة احتلاله لأراضينا تفرض عليه ثمناً لا يستطيع دفعه ... وبالتالى فإن نظريته فى الأمن – على أساس التخويف النفسى والسياسى والعسكرى – ليست درعاً من الفولاذ يحميه الآن أو فى المستقبل .

وإذا استطعنا بنجاح أن نتحدى نظرية الأمن الإسرائيلى فإن ذلك سوف يؤدى إلى نتائج محققة فى المدى القريب وفى المدى البعيد .

فى المدى القريب : فإن تحدى نظرية الأمن الإسرائيلى يمكن أن يصل بنا إلى نتائج محققة تجعل فى الامكان أن نصل إلى حل مشرف لأزمة الشرق الأوسط .

وفى المدى البعيد : فإن تحدى نظرية الأمن الإسرائيلى يمكن أن يحدث متغيرات تؤدى بالتراكم إلى تغيير أساسى فى فكر العدو ونفسيته ونزعاته العدوانية .

رابعاً : عن التوقيت :

إن الوقت من الآن ، ومن وجهة نظر سياسية ملائم كل الملاءمة لمثل هذا العمل الذى أشرت إليه فى ثالثاً من هذا التوجيه .

إن أوضاع الجبهة الداخلية ، وأوضاع الجبهة العربية العامة بما فى ذلك التنسيق الدقيق مع الجبهة الشمالية ، وأوضاع المسرح الدولى ، تعطينا من الآن فرصة مناسبة للبدء .

ومع العزلة الدولية للعدو ... ومع الجو الذى يسود عنده بنزاعات الانتخابات الحزبية وصراعات الشخصيات – فإن احتمالات الفرصة المناسبة تصبح أحسن أمامنا .

□ □ □

وفى نفس هذا اليوم – أول أكتوبر ١٩٧٣ – كان هناك اجتماع أيضاً فى إسرائيل .

فقد عقد الاجتماع الدورى لمجلس رئاسة الأركان الإسرائيلى لبحث الموقف ،

أن أصبح لدى إسرائيل بعض الشواهد عن حالة الاستعداد المتزايدة فى مصر وسوريا ، والايحاء عبر القنوات بأن إسرائيل تحشد قواتها على الحدود وأنها تنوى القيام بعمل عسكرى ضد مصر وسوريا .

قدم الجنرال الياهو زاعيرا مدير المخابرات العسكرية تقريرا مفصلاً عن الأوضاع فى الجبهتين المصرية والسورية ، وأكد التقرير أن هناك حالة استعداد شديدة على الجبهتين ، ولكنه قال : إن هذه الظاهرة حدثت أيضاً فى شهر يونيو ولم يحدث أى شيء بعدها . ولكن الاحتمال قائم ، أن تقوم مصر وسوريا بعمل عسكرى مما سيكون أحد المسكنات للأوضاع السياسية – خصوصاً الداخلية – المتردية جداً فى البلدين ، أو سيكون مجرد عملية استعراضية للاستهلاك الشعبى . ١

الأربعاء ٣ أكتوبر ١٩٧٣ :

بينما كان المشروع التدريبى مستمراً فى مصر ، وتحت ستاره تتخذ الاستعدادات النهائية للحرب ، سافر الفريق أول أحمد إسماعيل سراً إلى دمشق ، لتأكيد استعداد القوات السورية للهجوم يوم ٦ أكتوبر . وفى هذه الزيارة قابل الرئيس حافظ الأسد الذى أكد استعداد القوات السورية فى التوقيت المحدد طبقاً للمخطط .

كان الفريق أول أحمد إسماعيل – فى وقت سابق – قد أرسل إلى زميله اللواء مصطفى طلاس وزير الدفاع بسوريا يخطره بأن تستعد القوات السورية للحرب فى الميعاد المحدد الذى سبق الاتفاق عليه . وقد قمت بكتابة هذا الاخطار بمعرفتى بخط اليد بالحبر ، حمله ضابط إلى دمشق داخل مظروف سرى للغاية دون أن يعلم ما يحتويه ، ولكنه كان يعلم أنه يحمل وثيقة سرية للغاية وذات أهمية عالية .

وفى إسرائيل ، كانت السيدة مائير رئيسة الوزراء فى زيارة للنمسا ، وكنا سعداء بوجودها خارج الدولة فى ذلك الوقت ، لأن القرارات السياسية الخاصة بالتعبئة والحرب لابد أن تتخذ بواسطة مجلس الوزراء ورئيسة الوزراء .

وبمجرد عودتها من النمسا عقدت اجتماعاً – بناء على طلب الجنرال ديان وزير الدفاع – يوم ٣ أكتوبر حضره الجنرال المعازار رئيس الأركان وقائد السلاح الجوى والقائم بأعمال مدير المخابرات العسكرية لبحث الموقف ، بعد أن تلقت إسرائيل –

كما يقول ديان فى مذكراته - معلومات عن تعزيزات للأسلحة على الجبهة السورية وربما على الجبهة المصرية ، وكذلك معلومات عن اعتزام المصريين والسوريين للوصول إلى حالة التأهب لاستئناف الحرب .

وكان تحليل المخابرات الإسرائيلية أنها توصلت إلى استنتاج أن ما يجرى فى الجبهة المصرية لا يعدو أن يكون مناورة عسكرية ، أما بالنسبة للسوريين فلا توجد دلائل على اعتزامهم شن الحرب .

الجمعة ٥ أكتوبر ١٩٧٣ :

كانت قواتنا المسلحة فى أقصى درجات استعدادها للقتال ، كما كنا فى « مركز العمليات » نتابع نشاط العدو أولاً بأول ، وكان لهذا العمل أهميته القصوى فلم يبق سوى ٢٤ ساعة وتبدأ الحرب .

وفى هذا اليوم أصدر الرئيس السادات توجيهاً إستراتيجياً إلى الفريق أول أحمد إسماعيل - مؤرخاً ٩ رمضان - ٥ أكتوبر ١٩٧٣ - نصه الآتى[1] :

١ - بناء على التوجيه السياسى العسكرى الصادر لكم منى فى أول أكتوبر ١٩٧٣ ، وبناء على الظروف المحيطة بالموقف السياسى والاستراتيجى ، قررت تكليف القوات المسلحة بتنفيذ المهام الاستراتيجية الآتية :

أ - إزالة الجمود العسكرى الحالى بكسر وقف إطلاق النار اعتباراً من يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣ .

ب - تكبيد العدو أكبر خسائر ممكنة فى الأفراد والأسلحة والمعدات .

جـ - العمل على تحرير الأرض المحتلة على مراحل متتالية حسب نمو وتطور إمكانيات وقدرات القوات المسلحة .

٢ - تنفذ هذه المهام بواسطة القوات المسلحة المصرية منفردة أو بالتعاون مع القوات المسلحة السورية .

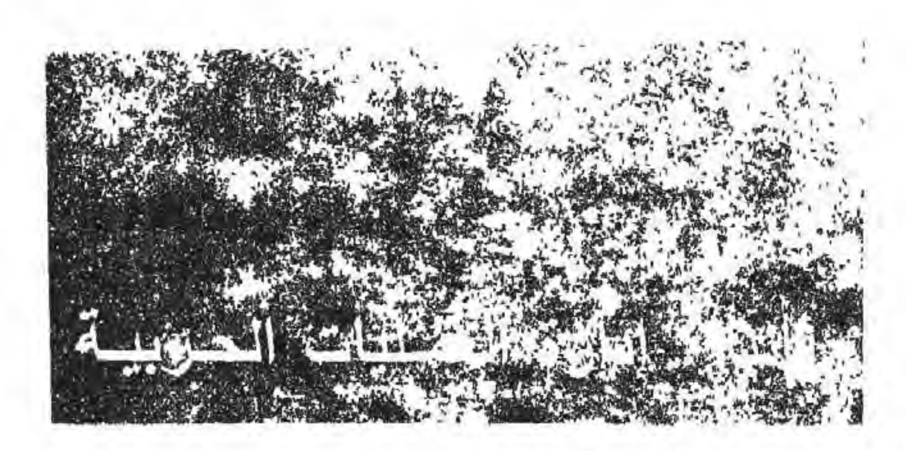
عندما أطلعنى الفريق أول إسماعيل على هذا التوجيه الاستراتيجى ، طلبت منه معرفة

---

(١) النص منشور فى كتاب البحث عن الذات للرئيس السادات - طبعة عربية - ص ٤٤٤ .

الأسباب التى من أجلها أرسل الرئيس السادات هذه الوثيقة ، برغم أن لدينا التوجيه الاستراتيجى المؤرخ أول أكتوبر ١٩٧٣ الذى يقضى بالحرب ، وأن الهدف الاستراتيجى محدد فيه ، وأن خطة العمليات التى ستنفذ معروفة له تماما ، وأن الحرب تبدأ يوم ٦ أكتوبر .

قال لى الفريق أول أحمد إسماعيل إنه هو الذى طلب هذا التوجيه حتى تكون الأمور - للتاريخ - محددة بوضوح . ففى الوثيقة الجديدة نص صريح بكسر وقف إطلاق النيران اعتباراً من يوم ٦ أكتوبر ولم يكن ذلك محدداً من قبل علما بأن هذا القرار سياسى قبل أن يكون قراراً عسكرياً . كما أن الوثيقة الجديدة تنص صراحة على العمل على تحرير الأرض على مراحل متتالية حسب نمو وتطور إمكانيات وقدرات القوات المسلحة ، حتى لا يفهم مستقبلاً أنه كان مطلوباً تحرير سيناء بالكامل . وهذا يؤكد مرة أخرى - للتاريخ - المهام الاستراتيجية المحددة من القيادة السياسية للقوات المسلحة .



فاجأناهم قبل أن يخدعونا :

كان على قواتنا المسلحة أن تدخل حرب أكتوبر ١٩٧٣ فى ظروف عسكرية صعبة ومعقدة لهدم « نظرية الأمن الإسرائيلى » التى وضعتها إسرائيل لتكون ستاراً لتحقيق أهدافها التوسعية وفرض الأمر الواقع على العرب .

ولعلنا لم ننس ما قاله ديان قبل الحرب بحوالى شهر ونصف « إن السلام الذى تريده إسرائيل قد تحقق منذ عام ١٩٦٧ ، وأن السلام الرسمى مع العرب يضر بالحالة التى تحرص عليها إسرائيل وهى تثبيت الأمر الواقع الذى فرضته تلك الحرب ... وأن حدود إسرائيل تتغير تلقائياً حسب طبيعة نمو وتوسع إسرائيل .

وكان على قواتنا خوض الحرب مهما كانت المصاعب ومهما كانت التضحيات لاستعادة أراضينا .

- كنا سندخل الحرب ، بينما العدو له التفوق العسكرى ، والوضع الطبيعى أن يكون المهاجم متفوقاً على المُدافع . وكان من الضرورى إهدار التفوق العسكرى فى المرحلة الافتتاحية للحرب وهى مرحلة الهجوم مع اقتحام قناة السويس .
- وكنا سندخل الحرب ، بينما يستند العدو إلى خط محصن على الضفة الشرقية للقناة ، وله القوات الكافية المدربة فى سيناء تحتل الخط الأمامى وقوات مدرعة على أنساق متتالية . وكان لا بد من نجاح العملية الهجومية واختراق تحصيناته وتدميرها ، وبذلك يتم تحدى نظرية الأمن الإسرائيلى .
- وكنا سندخل الحرب ، ونقدر أن الاقتحام المدبر لقناة السويس بقوة جيشين يشملان خمس فرق وقوة قطاع بورسعيد (حوالى مائة ألف مقاتل) يعتبر من أصعب العمليات العسكرية ، فإن أصعب الموانع المائية اثنان لا ثالث لهما فى العالم هما قناة السويس وقناة بنما

● وكنا سندخل الحرب ، ونحن نعلم أن نجاح العبور يتطلب حتما إنشاء كبارى وتشغيل معديات ، وهذا يتطلب حتما عمل فتحات في الساتر الترابي العالى على الضفة الشرقية للقناة . وكل فتحة تتطلب تهايل ١٥٠٠ متر مكعب من الرمال تستغرق عدة ساعات . والكبارى لا بد أن تنشأ خلال ٨ ساعات لعبور الدبابات والأسلحة الثقيلة . فإذا تحققت المفاجأة يمكننا كسب الوقت ومنع العدو من التدخل السريع لعرقلة عمل الفتحات أو إنشاء الكبارى ، وبالتالى يتم العبور .

● وكنا سندخل الحرب ، ضد عدو لديه جهاز مخابرات اشتهر بكفاءته وتعاونه مع أجهزة المخابرات الأمريكية لمعرفة كل ما يدور في الوطن العربي . فإذا اكتشفت هذه الأجهزة نوايانا الهجومية ، فإن إسرائيل ستبادر بتوجيه ضربة وقائية – ضربة إجهاض – تجعل عمليتنا الهجومية أكثر صعوبة وأشد تعقيداً ، كما أن إسرائيل ستبادر أيضاً بتعبئة الاحتياطى وإرساله للجبهتين المصرية والسورية خلال يومين .

ومن هنا ، ولكل هذه الأسباب ، كان من الضرورى أن نبذل كل جهد ممكن لتحقيق المفاجأة حتى تكون المبادأة لنا لأول مرة في الحرب ضد إسرائيل ، وحرمان العدو من فترة الانذار اللازمة للتعبئة ، وعدم إعطائه فرصة توجيه ضربة وقائية ، وضمان نجاح الهجوم والعبور – وكذلك الهجوم في الجولان – بأقل خسائر ممكنة حيث كنا قدرنا خسائرنا في جبهة قناة السويس بالآلاف من الشهداء والجرحى والمصابين .

لقد كانت قواتنا في منطقة القناة على اتصال بالعدو حيث لا يفصلها عنه سوى حوالى ٢٠٠ متر وهو عرض القناة . كما أن القوات في الجبهة السورية تتواجد تحت الملاحظة المستمرة من جانب العدو الذى يحتل المرتفعات السورية العالية بالجولان وفي جبل الشيخ والتى تسيطر على مناطق حشد القوات في المناطق المنخفضة . ومعنى ذلك أن العدو يسهل عليه اكتشاف أى تغيير جوهرى في حجم القوات أو استعدادها للحرب في الجبهتين أو إحداهما ، وهذا يوضح مدى صعوبة تحقيق المفاجأة في هذه الحالة .

وكانت هناك صعوبة أخرى فى تنفيذ الاجراءات الخداعية بحيث تبدو للعدو حقيقية ، وبحيث تقتنع القوات أو الجهات التى تقوم بتنفيذها بأنها حقيقية دون أن تعلم أنها خداعية .

لذلك فقد اشترك فى وضع خطة المفاجأة عدد محدود جداً من ضباط هيئة عمليات القوات المسلحة ، وكتبت بخط اليد كخطة العمليات تماما . واشتملت الخطة على إجراءات وأعمال كثيرة متنوعة فى مجالات مختلفة بحيث تتكون صورة متكاملة أمام العدو أن قواتنا فى مصر وسوريا ليس لديها نية الهجوم ، بل نعمل لتقوية دفاعاتنا واستعدادنا ضد هجوم إسرائيلى محتمل .

مناورة للتدريب :

وكانت الخطوة الأولى هى عمل مشروع تدريبى تشترك فيه كل أفرع القوات المسلحة والجيوش والمناطق العسكرية ، وتحت ستاره تنفذ اللمسات الأخيرة للاستعداد للهجوم بحيث يتحول المشروع التدريبى إلى حرب حقيقية طبقاً لخطة العمليات .

فى الوقت المناسب صدرت التعليمات بعمل هذا المشروع خلال المدة من أول حتى سبعة أكتوبر ١٩٧٣ . ولم تصدر أى قيود على القوات بحيث يبدو للجميع أنه تدريب عادى – كما كان يعمل دائما – وكان يهمنا أن تعلم إسرائيل قيامنا بهذا التدريب ، وهو ما تم فعلاً . وقد سبق لقواتنا أن قامت بتدريب واسع فى النصف الأول من عام ١٩٧٣ ، اضطرت إسرائيل – تفاديا للمفاجأة – أن تعلن التعبئة الجزئية وتضع قواتها فى درجة استعداد عالية الأمر الذى كلفها ملايين من الدولارات . وقد أسعدنا ذلك كثيراً حينئذ حتى تتعود إسرائيل على أن المشروع التدريبى الذى سيتحول إلى حرب حقيقية إنما هو تكرار لمشروعات تدريبية سابقة ، ويصبح الأمر عادياً فى نظرها .

وقد ثبت فيما بعد أن تحليل المخابرات الإسرائيلية هو أن ما نقوم به خلال الأسبوع الأول من أكتوبر ١٩٧٣ هو مجرد مناورة عادية للتدريب .

وكان من الضرورى تعبئة بعض القوات الاحتياطية فى مصر قبل الحرب ، وهو أمر يشعر به العدو حتما بالاضافة لعائلات آلاف المجندين والضباط الاحتياطى المستدعين والجهات التى يعملون فيها . ولاظهار أن التعبئة هذه المرة مماثلة تماما للمرات السابقة ، فقد تم تسريح عدة آلاف منهم وإعادتهم لبلادهم وجهات عملهم قبل نشوب

الحرب بأيام قلائل مع حجز ما هو مطلوب منهم للاشتراك فى القتال . وكان رد الفعل لذلك أن انتشر بين المواطنين أن التعبئة كانت للتدريب الدورى وليس للحرب . ومن الطبيعى أن تتابع المخابرات الإسرائيلية التعبئة والتسريح فيكون ذلك تأكيداً لها أنه جزء من التدريب .

وكان تحريك القوات إلى جبهة القناة يتم تدريجيا بطريقة سرية فى فترات الظلام . ولم تواجهنا صعوبة فى ذلك للدقة والانضباط التام الذى كان يتم به هذا العمل ، غير أنه كان من الضرورى نقل لواء من مدينة الاسكندرية إلى منطقة القناة الأمر الذى يستدعى نقله بالسكة الحديد فى عدة قطارات تحمل الأفراد والأسلحة والدبابات والعربات . كنا نعلم أنه من الصعب إخفاء نقل هذا اللواء ويثير الكثير من الحديث فى مدينة الاسكندرية التى عرف عن المواطنين فيها أنهم يشكلون أسرة كبيرة تعرف الكثير عما يدور فيها إذا قورنت بمدينة القاهرة ، لذلك صدرت التعليمات بأن اللواء مطلوب اشتراكه فى تدريب بمنطقة القناة ، وتم حجز قطارات السكة الحديد لاعادته للاسكندرية اعتباراً من ٧ أكتوبر بعد إنتهاء التدريب حتى نمنع الحديث حول تحرك هذا اللواء .

المدمرات فى باب المندب :

وللتعرض لخطوط المواصلات البحرية الإسرائيلية فى مضيق باب المندب بواسطة البحرية المصرية ،كان لا بد أن تصل المدمرات إلى منطقة عملها قبل ظهر يوم ٦ أكتوبر .

لذلك قمنا فى وقت مبكر خلال عام ١٩٧٣ بالاتصال باحدى الدول الأسيوية الصديقة لقبول هذه القطع البحرية للاصلاح فى ورشها . وبعد أن وصلتنا الموافقة ، تمت الاتصالات مع السودان واليمن الجنوبية للحصول على موافقة كل منهما لتقوم مدمراتنا بزيارة ميناءى بورسودان وعدن زيارة ودية . ووضع برنامج الرحلة والزيارات بحيث تتواجد المدمرات فى مضيق باب المندب صباح يوم ٦ أكتوبر لتبدأ تنفيذ مهمتها .

وللمحافظة على سرية الهدف من الزيارة ومهمة القتال ، فقد تأكدت قيادة القوات

البحرية أن المدمرات أبحرت مستعدة تماما للقتال . وعندما حان الوقت المناسب أثناء الرحلة البحرية - فتح قائد القوة مظروفاً سرياً ، وجد به تعليمات القتال للتعرض لخطوط المواصلات البحرية الإسرائيلية فى المضيق ، وهو ما تم تنفيذه بكفاءة .

وكانت هذه المهمة الاستراتيجية مفاجأة غير سارة لإسرائيل ، ولم يكن أمامها إلا أن تقتنع بأن تمسكها بشرم الشيخ لتأمين الملاحة البحرية فى مضيق خليج العقبة إلى إيلات ، لا قيمة له وسقطت دعواها فى هذا الشأن .

أداء العمرة :

وقبيل شهر رمضان من كل عام ، يستعد عدد كبير من المسلمين لأداء العمرة في الأراضى المقدسة بالمملكة العربية السعودية . أعلنت وزارة الحربية في الصحف - وداخل القوات المسلحة - عن فتح باب قبول طلبات العسكريين لأداء العمرة ، وصدرت التعليمات للقوات بقبول طلبات من يرغب بنفس الأسلوب الذى يتبع سنويا . ومن المعروف أن إسرائيل تحصل على الصحف المصرية عن طريق أوربا ، كما كنا نحصل على الصحف الإسرائيلية ، ولذلك كان الخبر الذى نشر فى الصحف المصرية رسالة مفتوحة لإسرائيل والسفارات الأجنبية فى مصر أن استعدادنا للهجوم ليس وارداً فى ذلك الوقت .

وفى داخل هيئة عمليات القوات المسلحة ، تقدم زميل عزيز - رحمه الله - هو اللواء فاروق فهمى بطلب أداء العمرة ، وهو معروف عنه أنه يتمسك بفرائض الإسلام بدقة ، وأنه يؤدى العمرة كلما أتيحت له الفرصة . لم أوافق على طلبه عدة أيام تردد فيها على مكتبى أكثر من مرة لاقناعى بقبول طلبه ، وكانت حجتى أنه من الواجب عليه إفساح المجال لآخرين لم يسبق لهم تأديتها . وأخيراً وافقت على طلبه ، وكنت أعلم مسبقاً أن الحرب ستنشب ولن يستطيع السفر ، وهذا ما حدث وعاصر الحرب معنا . وكان وعداً بيننا أن نؤدى فريضة الحج معا بعد الحرب ، وهذا ما تم بحمد الله .

ودون تخطيط مسبق ، شاءت الظروف أن يطلب وزير دفاع رومانيا زيارة مصر ، وتحدد لهذه الزيارة يوم ٨ أكتوبر بطريقة طبيعية كالمتبع فى مثل هذه الحالات . كان ذلك مناسبا للاعلان عن هذه الزيارة وإخطار الجهات التى ستقوم باستقباله ووضع برنامج الزيارة كاملاً . كنا نعلم أن الحرب ستنشب قبل حضوره ، وبالتالى سيقوم هو

بإلغائها ، وهذا ما حدث . وأؤكد أن هذا الموضوع لم يكن ضمن خطة المفاجأة ، بل جاء طبيعياً واستفدنا منه .

السرية المطلقة :

تلك كانت بعض الأساليب التى اتبعناها لخداع العدو عن نوايانا الهجومية ، وليس هنا مجال التوسع فى شرح الأعمال التى تمت لأنها كثيرة متعددة واشتملت على مجالات عمل مختلفة عسكرية وسياسية وإعلامية . وقد اكتفيت بشرح القليل منها كأمثلة .

وكان العامل الثانى الذى يضمن لنا تحقيق المفاجأة بنجاح ، هو فرض السرية الشديدة داخل القوات المسلحة بحيث يتسلم كل قائد الأمر بالقتال فى توقيت محدد - كل حسب مستوى قيادته - يضمن له الوقت الكافى لاستعداد قواته . وبذلك كان كل مستوى يعلم وقت الهجوم طبقاً لبرنامج زمنى محدد - فرضته القيادة العامة - بحيث تكون كل القوات المسلحة على استعداد للهجوم يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣ .

وكان نقل الكبارى إلى منطقة القناة هو العلامة البارزة التى توضح للعدو بدون أدنى شك أن عملية عبور القناة أصبحت وشيكة . ومن هنا فرضت السرية الشديدة على تحركات العربات التى تحملها مجزأة ومغطاة خلال فترة زمنية محددة فى ساعات الظلام لتوضع فى الأماكن المخصصة لها بالجبهة تحت الأرض .

اختيار يوم وساعة الهجوم :

وكان اختيار يوم الهجوم وساعته عاملاً من عوامل المفاجأة لإسرائيل . وقد اعتقد البعض أنه تم اختيار يوم كيبور - السبت ٦ أكتوبر - لبدء الحرب لأنه عيد من أعياد الإسرائيليين . ولكن الحقيقة أنه تم اختيار هذا اليوم لاعتبارات علمية وفنية وتكنيكية - سبق شرحها - وكان يوماً لم تتوقع إسرائيل نشوب الحرب فيه .

كما أن اختيار ساعة الهجوم لتكون الساعة ١٤,٠٥ (الثانية وخمس دقائق ظهراً) كان مفاجئاً للجميع . فالوضع الطبيعى التقليدى لبدء الهجوم هو أن يبدأ فى أول ضوء أو

آخر ضوء من اليوم ، ولكننا لم نتبع هذا الأسلوب التقليدى لأسباب واعتبارات فنية وتكنيكية وعملياتية كثيرة . وكان هذا الموضوع يهم كلاً من القيادة العامة فى مصر وسوريا ، ولذلك كان موضوع بحث طويل دقيق حتى اتفقنا على هذا التوقيت للحرب فى الجبهتين المصرية والسورية فى وقت واحد .

ومن دواعى الاعتزاز لهيئة عمليات القوات المسلحة أن يسجل الفريق أول أحمد إسماعيل تعليقا على الدراسة التى تمت لتحديد يوم الهجوم وساعاته قال فيه :

" لقد كان تحديد يوم الهجوم عملاً علمياً على مستوى رفيع . إن هذا العمل سوف يأخذ حقه من التقدير ، وسوف يدخل التاريخ العلمى للحروب كنموذج من نماذج الدقة المتناهية والبحث الأمين " .

ثلاثة أحداث مزعجة :

وخلال الأيام الثلاثة الأخيرة قبل نشوب الحرب ، وقعت ثلاثة أحداث مزعجة كادت تكشف نوايانا عن بدء العمليات الحربية ، وبالتالى تضيع المفاجأة قبيل الحرب مباشرة .

كان الحادث الأول يوم ٤ أكتوبر عندما علمنا أن الاتحاد السوفيتى قرر إخلاء العائلات السوفيتية من مصر بالطائرات ليلة ٤ / ٥ أكتوبر الأمر الذى لا يمكن إخفاؤه برغم اتخاذ كل تدابير الأمن ، وفى نفس الوقت لا يمكن إلغاؤه أو تعديل توقيته . وأصبحنا فى القيادة العامة على اقتناع تام بأن إسرائيل والولايات المتحدة ستعلمان حتما بذلك ، وأنها ستكون علامة قوية على أن هناك عملاً خطيراً من المتوقع حدوثه فى المنطقة يستدعى ترحيل هذه العائلات . وقد ثبت فيما بعد أن هذا العمل كان علامة هامة أمام إسرائيل ، كجزء من المعلومات التى وصلتها من مصادرها المختلفة التى تقول إن شيئاً ما سيحدث فى المنطقة يشمل مصر وكذا سوريا التى تقرر ترحيل العائلات السوفيتية منها أيضا .

وكان الحادث الثانى الذى علمت به ، عندما دخلت إلى مكتب الفريق أول أحمد إسماعيل أثناء حديثه التليفونى يوم ٥ أكتوبر مع وزير الطيران المدنى المهندس أحمد نوح ، طالبا منه إلغاء التعليمات التى أصدرها لتأمين طائرات شركة مصر للطيران التى

كانت تتضمن مغادرة بعض طائرات الشركة لمطار القاهرة الدولى وتغيير مواعيد بعض الرحلات الأمر الذى يسهل رصده دولياً ، وبالتالى تعلم به إسرائيل حتما وبسرعة . وقد أمكن تدارك الموقف فى الوقت المناسب بحيث تظل حركة الطيران المدنى عادية .

وكان الحادث الثالث صباح يوم ٦ أكتوبر ، عندما اتصل بى تليفونيا أحد المسئولين فى وزارة الصناعة يبلغنى أن هناك سفينة أمريكية تقوم بعمل مسح على الساحل الشمالى لمصر ، وأن قيادة القوات البحرية رفضت السماح للسفينة بالابحار من ميناء الاسكندرية حيث أن ذلك يتعارض مع تدريب تقوم به القوات البحرية ، وطلب التصديق للسفينة الأمريكية باستئناف عملها . كان ردى الفورى عليه أن هناك تدريباً تقوم به القوات البحرية ، ولكن ذلك لا يمنع من إبحار السفينة إلى عملها العادى فى أى اتجاه سواء شرقا فى اتجاه بورسعيد أو غربا فى اتجاه مطروح . وخرجت السفينة فعلاً – بعد اتفاقى مع اللواء بحرى فؤاد زكرى قائد القوات البحرية – ولم تكن السفينة قد قطعت سوى أميال قليلة حتى كانت الحرب قد نشبت دون أن تتعرض السفينة لأى خطر ، ودون أن يعرقل ذلك عمل القوات البحرية .

الخداع فى الجبهة السورية :

وقد قامت القيادة السورية بتخطيط وتنفيذ خطة خداعية حققت الهدف منها . وقد أزعجنا فى مصر حدوث معركة جوية بين الطيران الإسرائيلى والطيران السورى يوم ١٣ سبتمبر ١٩٧٣ الأمر الذى ترتب عليه توتر الموقف بين الدولتين . وقد أعاد هذا الحادث إلى الأذهان تلك المعركة الجوية التى دارت بينهما يوم ٧ أبريل ١٩٦٧ تصعيداً للموقف العسكرى قبل حرب يونيو .

كان رد فعل سوريا بالنسبة لمعركة يوم ١٣ سبتمبر يتسم بالحكمة حيث لم تندفع القيادة السياسية أو العسكرية للرد بعمل عسكرى ، حيث لم يبق سوى ثلاثة أسابيع على بدء حرب أكتوبر فيكون الانتقام على نطاق أوسع ، وفى نفس الوقت عدم إعطاء الفرصة لإسرائيل لتصعيد الموقف وزيادة استعدادها .

ولقد ساعد هذا التوتر على تسهيل حشد القوات السورية فى الجبهة ، الأمر الذى فسرته المخابرات الإسرائيلية على أنه عمل دفاعى استعداداً لقيام سوريا بعمل انتقامى .

الحزام الأسود [1] :

فى الوقت الذى كنا نخطط ونستعد فيه لتحرير أراضينا ، كانت إسرائيل تخطط وتستعد لاحتلال مزيد من الأرض العربية . وقد شرح الجنرال اليعازار الخطة الإسرائيلية فى مذكراته التى نشرت بعد وفاته .

فقد وضع ديان وزير الدفاع الإسرائيلى فى أوائل عام ١٩٧٣ خطة عسكرية رسم خريطتها بنفسه ، وعرضها على الجنرال اليعازار رئيس الأركان ، أطلق عليها اسم « الحزام الأسود » . وكان تحقيقها يحتاج إلى عوامل أهمها ، **أولاً** : ضم جنوب لبنان كله إلى إسرائيل ، **وثانياً** : ضم أجزاء أخرى من سوريا ، **وثالثاً** : إنشاء خط محصن يشبه خط بارليف فى غور الأردن لحماية المستعمرات ، **ورابعاً** : تحويل سيناء إلى مركز تجارب للمفاعلات الذرية .

وكان المعنى الوحيد للأفكار التى طرحها ديان على اليعازار هو القيام بحرب أخرى ضد العرب فى أواخر عام ١٩٧٣ . وكان حلم ديان المرسوم على الخريطة العسكرية « لحزام عسكرى حول إسرائيل » يحقق من وجهة نظره هدفين رئيسيين لإسرائيل :

الأول : تأمين إسرائيل إلى الأبد من أية عمليات عسكرية عربية .

الثانى : جعل زمام المبادرة فى القتال فى أيدى إسرائيل فيما لو أرادت ضم أراض عربية أخرى .

ويفسر اليعازار فكرة ديان بقوله : « لقد كان ديان يحلم بعمل يخلد إسمه إلى الأبد ... تماماً مثلما فعل بارليف بخطه الدفاعى الذى يحمل إسمه على حافة قناة السويس . وكان معنى ذلك أن يقوم بعد تحقيق حزامه الأسود بتغيير اسمه إلى (حزام ديان) . لقد كان ديان يفكر كما لو أن العرب غير موجودين أو أنهم انتهوا إلى الأبد ، أو كما كان يقول لنا دائما : الجسد الميت لا يحتاج أبداً إلى أن نقيم له حسابات » .

وفى الخامس من أكتوبر ١٩٧٣ عقد إجتماع طارىء لمجلس رئاسة الأركان الإسرائيلى بحضور السيدة مائير ، شرح فيه ديان خطته وتوقيتاتها والهدف منها .

---

(١) من مذكرات ديفيد اليعازار – ترجمة عربية للأستاذ رفعت فوده – دار المعارف المصرية .

كانت الخطة تقضى بتوجيه ضربة قوية للجنوب اللبنانى ، وفى نفس الوقت توجيه ضربة أخرى للقوات السورية . وقبل أن تحاول مصر التدخل يوجه لها ضربة قوية ضد صواريخ الدفاع الجوى فى منطقة القناة وضد المطارات المصرية . وكان فى تقدير ديان أن تتم هذه العملية فى الفترة من ٢٢ إلى ٢٥ أكتوبر ١٩٧٣ بعد الانتهاء من عيدى الغفران والمظلات وقبل إجراء انتخابات الكنيست فى الثامن والعشرين من أكتوبر .

وفى ضوء الموقف الذى كان يناقشه مجلس رئاسة الأركان والمعلومات المتيسرة والتقديرات ، سألت مائير ديان عن رأيه . صمت قليلاً ثم قال « سأجعل ضربتى مبكرة كثيراً ، ستكون صباح الثامن من أكتوبر . وافقت مائير على تنفيذ الخطة يوم ٨ أكتوبر ١٩٧٣

وتمهيداً للتنفيذ ، قررت إسرائيل إجراء اتصال عاجل مع الولايات المتحدة ، وعن طريقها للاتحاد السوفيتى الذى يتولى تحذير مصر وسوريا من الإقدام على أى عمل عسكرى ، إذا كانت الحشود المصرية والسورية تخوفا من هجوم إسرائيلى محتمل ، ولا داعى للحشود وحالة التوتر التى يصنعها العرب بلا مبرر حتى لا تنقلب ضدهم .

قام إيبان وزير خارجية إسرائيل – وكان موجوداً فى نيويورك – بتبليغ الرسالة إلى كسنجر . وكان مفهوم وتعليق إيبان عندما وصلته الرسالة من تل ابيب ، أنها طعم له هدفان :

الأول : إظهار حسن نية إسرائيل وإدانة العرب .

والثانى : طمأنة المصريين والسوريين إلى أن يحين صباح الثامن من أكتوبر ، وهو الموعد الذى حدده ديان للقيام بضربته ضد العرب .

وبعد هذا الاعتراف ، هل هناك دليل أوضح من ذلك عن نوايا إسرائيل لخداعنا حتى يحين الوقت المحدد لتوجيه ضربتها الجديدة ضد مصر وسوريا ولبنان لاحتلال مزيد من الأرض العربية ؟ ولكن حرب اكتوبر ١٩٧٣ – بمبادأة من مصر وسوريا – كانت أسبق ، حيث فاجأناهم بالحرب يوم ٦ أكتوبر لتحرير أراضينا قبل أن يخدعونا يوم ٨ أكتوبر للاستيلاء على مزيد من الأرض العربية .

الأيام الحرجة قبيل الحرب :

الخميس ٤ أكتوبر (٨ رمضان) :

كانت مراكز العمليات فى القيادة العامة والجيوش والمناطق والقوات الجوية والبحرية والدفاع الجوى تعمل كخلايا نحل بإيمان قوى لانجاز ما هو مطلوب منها من أعمال ، بينما تتصرف القوات فى الخطوط الأمامية بجبهة القناة بطريقة عادية دون أى تغيير يلفت نظر العدو إلى أن هناك شيئاً يجرى الاعداد له . بل أضافت القيادات بمبادأة منها أعمالاً تؤكد للعدو على الضفة الشرقية للقناة أنه لا جديد فى الموقف العسكرى .

وفى الجانب الإسرائيلى تلقت القيادة العسكرية - كما يقول ديان - « تقارير تقوى من إحتمال أن تكون مصر وسوريا على وشك شن الحرب . وكانت أهم فقرة فى هذه المعلومات هى تلك التقارير التى تشير إلى أن روسيا أصدرت تعليماتها للعائلات السوفيتية بالرحيل عن سوريا ، ووصلت أثناء الليل طائرات ركاب إلى كل من سوريا ومصر من المعتقد أنها وصلت لترحيل هذه العائلات » .

الجمعة ٥ أكتوبر (٩ رمضان) :

كانت قواتنا المسلحة فى أقصى درجات استعدادها للقتال ، كما كنا فى مركز العمليات نتابع نشاط العدو أولاً بأول ، وكان لهذا العمل أهميته القصوى فلم يبق سوى ٢٤ ساعة حتى نبدأ الحرب . تحرك الفريق سعد الدين الشاذلى رئيس الأركان إلى الجبهة صباح ذلك اليوم للاطمئنان على سير الأمور ، فقام بزيارة اللواء عبد المنعم واصل فى قيادة الجيش الثالث ثم زيارة اللواء سعد الدين مأمون فى قيادة الجيش الثانى ، وعاد إلى مركز العمليات مساءً بعد أن اطمأن على أن العمل يسير فى مجراه الطبيعى طبقاً للمخطط .

وفى إسرائيل عقدت السيدة مائير مجلس وزراء مصغرا حضره عدد قليل من الوزراء ورئيس الأركان ومدير المخابرات العسكرية . فى هذا الاجتماع وصف رئيس الأركان ومدير المخابرات الموقف على الجبهات - كما يقول ديان[1] - على النحو التالى :

---

(١) ديان - قصة حياتى - الجزء الثانى - طبعة عربية - ترجمة الهيئة العامة للاستعلامات المصرية - ص ٥٢٠ ، ٥٢١ .

" إن السوريين والمصريين فى حالة الطوارىء التى تصلح تماما لأغراض الدفاع مثلما تصلح تماما للهجوم . إلا أن تقدير مدير المخابرات الجنرال إيلى زاعيرا والذى وافق عليه رئيس الأركان هو عدم احتمال شن أى هجوم ، وأنه لو كانت الحرب على وشك الوقوع حقيقة فستكون هناك دلائل أكثر وتقارير مخابرات أخرى . وإذا ما ظهرت هذه الدلائل فسيكون من الضرورى — عندما تظهر فقط — تعبئة الاحتياطى واتخاذ إجراءات أخرى . وكان تقدير مدير المخابرات أنه من غير المحتمل إلى أبعد حد أن يعبر المصريون القناة بقوات كبيرة ، ولكنهم قد يفتحون النيران ويحاولون القيام بغارات . وكان تقدير المخابرات الأمريكية أنه ليس فى نية كل من مصر وسوريا شن هجوم فى المستقبل القريب ".

واتخذت القيادة العسكرية الإسرائيلية الإجراءات لزيادة استعداد الجيش بأن رفعت درجة استعداده إلى أقصى درجة ، كما رفعت درجة استعداد السلاح الجوى إلى حالة الاستعداد الكامل ، وقررت إلغاء الاجازات ، وأصدرت تعليماتها الابتدائية للاستعداد لتعبئة محتملة عندما يصدر الأمر بذلك .

السبت ٦ أكتوبر (١٠ رمضان) :

كان من أهم أعمالنا الرئيسية فى مركز عمليات القوات المسلحة أن نتابع نشاط العدو يوميا ، وساعة بعد أخرى ، ولم تغفل إدارة المخابرات الحربية عن أى تصرف يقوم به العدو ، وكان لا بد من تقدير الموقف أكثر من مرة فى اليوم الواحد . وكان اهتمامى الشخصى مركزا على نشاط العدو الجوى الذى يظهر على شاشة الراذار الموجود فى مركز العمليات حيث أن السلاح الجوى الإسرائيلى يلعب الدور الرئيسى فى حالة كشف نوايانا الهجومية .

فى صباح هذا اليوم أغلقت الأبواب الحديدية لمركز العمليات ، واستبدلت بخرائط التدريب خرائط خطط العمليات . وكان ذلك إيذانا باقتراب ساعة بدء الحرب .

ومن المتابعة المستمرة لنشاط العدو بمعرفة إدارة المخابرات الحربية وصلنا إلى قناعة بأن العدو لم يكتشف نوايانا الهجومية حتى تلك اللحظة إلا أن الساعات القليلة الباقية تعتبر فترة حساسة قد يلجأ العدو فيها إلى استخدام سلاحه الجوى ضدنا أو ضد سوريا .
وفى حوالى الساعة الثانية عشرة ظهر هذا اليوم سألنى الفريق أول أحمد إسماعيل وكان

السؤال هو الثالث خلال نفس اليوم عن موقف العدو . وأتذكر أنى قلت للفريق أول أحمد إسماعيل « سبق السيف العزل بالنسبة لإسرائيل ، فقد أصبح الوقت متأخراً كى يتمكن العدو من القيام بعمل عسكرى مؤثر » .

أخذ الوقت يمر بطيئاً ... بطيئاً . ومرت الساعة الباقية حتى إقلاع طائرات قواتنا الجوية لتوجيه الضربة الجوية المركزة الأولى ... مرت طويلة ... طويلة .

وفى إسرائيل كشف ديان فى مذكراته (قصة حياتى) أنهم تلقوا معلومات من مصدر موثوق به فى الرابعة من صباح ذلك اليوم – ٦ أكتوبر – تؤكد أن مصر وسوريا ستشنان الحرب قبل غروب شمس هذا اليوم . وبدا لهم أن هذا التقرير وتقارير المخابرات الأخرى وخاصة ما يتعلق بقيام السوفيت بترحيل عائلاتهم من مصر وسوريا صحيحة وواقعية . وكان ينبغى عليهم التصرف على أساس افتراض أن مصر وسوريا تعتزمان هذه المرة بدء الحرب .

عقدت مائير رئيسة الوزراء اجتماعا فى الساعة الثامنة صباحاً تقرر فيه أربعة إجراءات رئيسية ، أولها تعبئة ١٠٠ – ١٢٠ ألف رجل من الاحتياطى بالاضافة إلى الجيش النظامى ، كما أن السلاح الجوى كان مكتمل التعبئة فعلاً ، وكانت خطة الطوارىء معروفة وسبق اختبارها فى المناورات . ولو أن التحذير لم يهيىء مهلة كافية للاستعداد إلا أنه لم يأت بعد فوات الأوان . وكان الاجراء الثانى هو ترحيل الأطفال والنساء من مستوطنات الجولان .

وكان الاقتراح الثالث من رئيس الأركان – اليعازار – بتوجيه ضربة وقائية بالسلاح الجوى ضد سوريا . اعترض وزير الدفاع على هذه الفكرة على أساس أنها ستوجه ضد سوريا وحدها ، ولم تكن ستوجه ضد الجبهة ولا ضد شبكة الدفاع الجوى وإنما ضد القواعد الجوية فقط فى عمق سوريا ، بل إنها لم تكن ستبدأ قبل الساعة الثانية عشرة ظهراً . ولو أن هذه الغارة الوقائية قد نفذت ، لما كان لها – فى رأى ديان – أثر هام على تطورات الحرب . ولذلك تقرر رفض الاقتراح .

وكان الاجراء الرابع هو تحذير كل من مصر وسوريا عن طريق الولايات المتحدة للامتناع عن بدء الحرب . استدعت مائير السفير الأمريكى فى تل أبيب الذى نقل إلى البيت الأبيض رسالة عاجلة أن إسرائيل وصلت أخيراً فى تقديرها للموقف إلى أن مصر

وسوريا خططا لمهاجمة إسرائيل فى الساعة السادسة من نفس اليوم . وفى نفس الوقت اتصلت بوزير خارجيتها – إيبان – فى نيويورك ليقوم فوراً باخطار كسنجر ليطلب من الرئيس نكسون إخطار بريجينيف أن إسرائيل لديها الدلائل على أن مصر تعتزم القيام بهجوم فى جبهة القناة ، وإذا كان ذلك صدى للمعلومات التى رددتها وسائل الاعلام عن حشد إسرائيلى فان نكسون يمكنه أن يؤكد أن إسرائيل ليس لديها نية الهجوم ، ويطلب من بريجينيف تبليغ الرسالة إلى الرئيس السادات .

اتصل كسنجر بالدكتور محمد حسن الزيات وزير الخارجية – الذى كان فى نيويورك – فى الساعة الثانية إلا الربع ظهر يوم ٦ أكتوبر بتوقيت القاهرة يرجو فيها ألا تقوم مصر بعمليات عسكرية . وعندما اتصل الدكتور الزيات بمحمد حافظ إسماعيل برئاسة الجمهورية ، كانت الحرب قد بدأت منذ ربع ساعة .

□ □ □

وهكذا تحققت المفاجأة الاستراتيجية ، وأصبح لنا المبادأة – لأول مرة – فى الحروب ضد إسرائيل . وحرمناها من تعبئة الاحتياطى فى وقت مبكر أو توجيه ضربة وقائية ضد قواتنا . وساعدنا ذلك على اقتحام القناة والهجوم فى الجولان فى ظروف أفضل ، وبأقل خسائر ممكنة .

لقد حاولت إسرائيل خداعنا حتى تتمكن من مفاجأة العرب بالحرب يوم ٨ أكتوبر ١٩٧٣ لتنفيذ خطة « الحزام الأسود » ، ولكن خاب أملها . وحققنا المفاجأة يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣ لتنفيذ الخطة « بدر » لتحرير أراضينا .

ويقول ديان وزير الدفاع الإسرائيلى :

" بالرغم من ثقتنا فى أنفسنا ، إلا أننا كنا نشعر بقلق فى أعماقنا . ولم يكن السبب راجعاً إلى أننا لم نتعود القيام بحملة تكون المبادرة فيها فى يد العدو ، وإنما الموقف كله أيضاً لم يكن متمشيا مع طبيعتنا ولا مع التركيب العضوى لجيشنا الذى يستند أساساً إلى الاحتياطى وتعبئته بنظام ، إذ ليس من السهل على الاطلاق التحول خلال أربع وعشرين ساعة من العمل فى المكاتب وعلى الجرارات وأمام المخارط إلى ساحة القتال ...

كان الهجوم المصرى والسورى – فى يوم كيبور – مفاجأة لنا برغم أنه كان

متوقعاً ... كما يجب أن نضيف أن قوات العدو (العرب) قد شنت هجوماً بكفاءة أكبر بكثير مما كان مقدراً عند وضع خططنا " .

ويسجل اليعازار رئيس الأركان الإسرائيلى رأيه قائلاً :

" إن حرب أكتوبر هي حرب تختلف عن كل الحروب التي خضناها ضد العرب . كانت المبادره دائما فى أيدينا ، وكان التحرك بالنسبة لنا أمراً سهلاً لأننا نحن الذين كنا نهاجم ، ولكن هم الذين هاجموا . ومعنى ذلك أن التوقيت لهم والهجوم لهم ، أما المفاجأة فهى التى لنا . وأصبح علينا أن ندافع ، وهذا أمر مرير كان يحز فى نفوسنا " .

أما الدكتور وليم كوانت مساعد مستشار الأمن القومى الأمريكى ، فقد كتب يقول :

" لقد كان نشوب حرب أكتوبر مفاجئاً لإسرائيل والدول العربية والعالم بما فى ذلك الولايات المتحدة الأمريكية حيث لم تتوقع أغلب دول العالم نشوبها " .